

مرلوبونتي من فينومينولوجيا الجسد الخاص إلى أنطولوجيا اللحم

عبيد الله سليمة

طالبة في الدراسات العليا جامعة وهران 02

عمل مرلوبونتي بعد إضطلاعه ودراسته لفلسفة هيدغر على الإهتمام بمشروعه الأنطولوجي ومحاولة تطبيقه على فلسفته الفينومينولوجية وتحديد نظريته عن الجسد، وذلك حينما تطرق للتأكيد على أن هناك تجربة أخرى خاصة بالجسد والتي لا تتوقف على أن تكون معطاة ضمن وجود طبيعي. ليكون بإمكانها أن تمنحنا معرفة ما تم قوله وتحديد فلسفيا وما تم نسيانه أيضا، إن الوجود الجسدي يصبح ممكنا أيضا كإفتتاح على الوجود كما نجده عند هيدغر. هذا الإفتتاح تؤسس له مصطلحات من قبيل الألفة *familiarité* القرب *proximité* الحضور *présence* بالوجود. فنجد حاضرا في تفكير مرلوبونتي حينما عمل على توضيح أن علاقتنا الأولى بالعالم ليست مطروحة بمفاهيم تطبيقية عملية أو إنتاجية. وإنما هي قائمة على فكرة لقاء وإتصال أنطولوجي⁽¹⁾ يتضح لنا هذا بشكل دقيق بعودتنا إلى كتابه المرئي واللامرئي⁽²⁾ حيث يوضح كلود لفور *cloude lefort* ناشر هذا الكتاب الغير منته بأنه وقبل سنة 1959 كان مرلوبونتي قد أعطى لمشروعه هذا عناوين أخرى: (الوجود والمعنى) بعدها (جينياولوجيا الحق) وأخيرا (أصل الحقيقة) مؤسسا في كل مرة فيه البعد الجينياولوجي الخاص لمشروعه والذي إقترح فيه إعادة رسم كيفية تكون الفلسفة ذاتها إنطلاقا ومقابلا من الالفلسفة على أنه ليس هناك من انفصال جذري بينهما، بالنسبة إليه فإن التجربة الحسية هي أيضا موقع ومنبع للحقيقة وأن الفلسفة ليس لها تلك المهمة التي نجدها عند هوسرل والتي سعى لأن يوردها فيوجه التجربة الحية ويجعل منها أكثر صمتا. على أن التفكير الفلسفي في تناقض مع التفكير العلمي، إن واقعة التكون هذه لا يمكننا أن نبقي في تجاهل تاريخها الخاص بل وجب منا طرح إشكال تكون معناها الخاص بها والذي يجعلنا نستطيع من خلالها أن نجيب عن مدى قدرة تبريرنا لها وتفكيرنا فيها، على أن الفيلسوف ليس في مقدوره أن يكون بعكس العالم الفيزيائي المؤسس لفكر مطلق يتخذ في مقابل موضوع محض. إنه لا يستطيع أن يترجم الواقع بدلالات مفهومية محضة بموضعه في وضعية مشاهد محايد *spectateur impartial* يحدد ماهيات الأشياء والعالم فيجعل من الماهية الأساس الذي يبنى عليه العالم بعيدا عن كل الموضوعات الأخرى في العالم الحسي. في حين أن سؤال الماهية ليس سؤالا نهائيا وهو لا يستند إلى ذاته وليس في مقدوره أن يعلمنا معنى الوجود. إن الفلسفة بالنسبة إلى مرلوبونتي ليست العلم وما تتطلبه هو بالتحديد معرفة الكيف أو الكيفية والأساس الذي يقوم عليه المشاهد المحايد والمنبع الأكثر عمقا الذي يستقي منه ذاته؟ إن الفلسفة لا تفترض أي شيء مسبقا كما أنها لا تتخذ نقطة إنطلاق لها ذلك الإختلاف القائم بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي ولكنها على العكس من ذلك تقوم في مجمل الأسئلة حيث يكون من يسأل هو ذاته من يضعه السؤال موضع تساؤل كما نجد ذلك مع هيدغر⁽³⁾.

يرفض مرلوبونتي أن تتحدد وظيفة الفلسفة في البحث عن الماهيات كما فعل هوسرل ولا حتى في إلحامها بالعالم والكشف عن حقائقه المعيشة كما كان قد فعل هو في فينومينولوجيا الإدراك لأن كل هذه العمليات تبقينا بعيدين عن البحث في الوجود وعن معناه الذي يختص به ويجمعنا معه. والذي ليس في إمكان البحث في الماهيات أن يعيدنا إليه ويجعلنا ننفتح عليه لأنه في الحقيقة بحث فقط في سؤال المعرفة ذاتها والمتعلق ب(ما هو الذي أعرفه، ما معنى أن نعرف، ومن أنا)، في حين أن سؤال الوجود يتطلب منا أن نجيب عن ماذا نعرف؟، هذا السؤال الذي سوف يتخطى البحث في إثبات أو نفي الأفكار وكذا رفض الإجابة عنها بأي إجابة. لأن سؤال الوجود قائم وراء كل إثباتاتنا وحتى نفينا وأحكامنا التي نصدرها⁽⁴⁾. إن الأساس الذي سوف يقيم عليه المشاهد المحايد المعرفة (معرفة الماهيات فقط) أي المنبع الأكثر عمقا الذي يستمد منه فكر الماهيات الذي يختص به ليس هو إلى حد ما يسميه مرلوبونتي الإعتقاد الإدراكي *foi perceptive* كما أنه ليس فعلا للتفكير أكثر أولانية أو معرفة قد تصبح أكثر بداءة، ولكنه شيء آخر غير المعرفة إنه ليس يقينا، وهو فعلا ما سعى مرلوبونتي أن يوضحه لنا ففي فينومينولوجيا الإدراك كان قد حدد الإدراك على أنه لا يجب فهمه على أنه علم العالم أو فعل عقلي أو حدثا متعمدا⁽⁵⁾، ولكن تم إعتبره القاع الذي تنبثق منه كل أفعالنا سواء كانت تطبيقية أو نظرية مادامت تؤسس إفتراضات كل نشاط الذاتية، إن الإدراك هو نتيجة ماهوية لما سماه هوسرل *Urdoxa*. تلك النظرة في الإعتقاد الأولي *primordial Croyance* والتي تمثل الشكل النموذجي والعياري لكل

العلاقات القصدية والأساس الذي تترسخ عليه كل علاقاتنا بالموضوعات. هذا وإذا إنتقلنا إلى المرئي واللامرئي فإننا نلاحظ مرلوبوتي وبطريقة أكثر جذرية يتخلى عن القيام باستخدام مفهومات من قبيل (أفعال الوعي)، (حالات الوعي)، (صوره)، وحتى مفهوم (الإدراك) والسبب في نظره: أن هذه المدلولات تنحدر عن الفلسفة التفكيرية⁽⁶⁾ والتي تزعم نسخ كل سلبية بمفهومات فعالة وإيجابية وتقيم الإدراك على مصطلحات التأسيس لتنتظر إلى تلك الصلة بين الذات المدركة والموضوع المدرك على أنها صلة حكم تكونها الذات عن الموضوع مستخدمة في ذلك عناصر التحليل والوضوح والبساطة كشروط ينتج وفقها الموضوع. وكذا مطابقة داخلية يستعاد فيها ماتم تكوينه بوضوح⁽⁷⁾ يشرح مرلوبوتي ذلك حينما يقول «نقصي لفظ الإدراك بكامل القدر الذي يضم فيه مسبقا تقطيعا للمعيش في أفعال منفصلة أو يضم رجوعا إلى أشياء لم تحدد منزلتها بعد، أو يضم وحسب تعارضا بين المرئي واللامرئي»⁽⁸⁾، إن مفهوم الإدراك إذا سوف يصبح مستبعدا لأنه يتضمن تناقض الشيء المرئي وحالة أو فعل الوعي اللامرئي وهو ما يفترض إعادة إنتاجه ذهنيا. بحيث يبدو اللامرئي إذا وكأنه في تناقض بسيط وتأثير متبادل وكذا توازن ذهني مع المرئي لأن تلك التميزات بين المرئي واللامرئي. بين الشيء والمعيش. ليست معدومة كلياً من المعنى لكنها وبالتحديد تتطلب أن تكون مفهومة بحيث لا نستطيع مباشرتها ومواصلتها ولكن ما يجب علينا القيام به هو على العكس مراعاة تكونها من خلال تلك الطريقة الأكثر إيجابية والتي تعرف بالجمع بين الداخل والخارج. أي بين ما هو منبسط داخل الجسد الخاص والعالم فننتقل إلى التأسيس لنقل الوجود إلى الوعي. لهذا فإننا نجد مرلوبوتي سيصبح يتحدث في المرئي واللامرئي عن الإعتقاد الإدراكي وليس الإدراك. وما يفهمه إنطلاقاً من إعتاده لهذا المفهوم لا يعود إلى طبقة أولى لتجربة قد وضعت داخل هذا المفهوم تحديداً لأنه وفي هذا المستوى لن يكون هناك تناقضا متواسلا بين الوجود والتفكير بل أن ما يفهم في الحقيقة من هذا المفهوم بالأحرى هو نموذج اللقاء الأصلي⁽⁹⁾ ويتضح هذا جليا بقوله «بالنسبة إلينا يضم الإيمان الإدراكي كل ما يتوفر في أصليته للإنسان الطبيعي من خلال تجربة-مصدر(.....)، وأنه جزء من مهمتنا أن نقرر ذلك وفقا لما كان سيعلمنا إياه تساؤل تجربتنا الخام أو البرية، إن الإدراك بوصفه إلتقاء الأشياء الطبيعية هو في صدارة بحثنا ليس بما هو وظيفة حسية بسيطة ستفسر الوظائف الحسية الأخرى، وإنما بما هو نموذج مثالي للقاء الأصل»⁽¹⁰⁾. بهذا سيمثل الإيمان الإدراكي وجود تجربة منبعية. تجربة تحمل معنى أصيل أساسي وإفتتاحي لحضور الأشياء ذاتها. تلك الأشياء الموجودة قبلا من عمليات إدراكي التي أوجهها إليها. أي ذلك الوجود الخام الأولي، وهي التجربة التي يقيمها مرلوبوتي أولا: على رفض المطابقة التي أقامتها الفلسفة دائما بين الذات وموضوعها الذي تفكر فيه. على أن للذات وحدها فقط مهمة التفكير في العالم وإكتشاف ماهياته الأصلية عن طريق العودة إلى معطياته المباشرة فيما يخص مسألة بلوغنا الحقيقة، وثانيا بالتأكيد على أن الجسد وبإعتباره رائيا ومرئيا كما جاء في فينومينولوجيا الإدراك والذي سمح للأشياء المرئية بأن تمر إليه تماما كما يمر هو إلى داخل هذه الأشياء وإكتشاف ما هو أصيل فيها تقوم عليه ليس هو بالأمر الأساسي، فهذا الأصل سوف لن يكون الوجود الأسبق الذي تكون عليه الأشياء ولن يكون ماهية معيشة لأننا سوف لن نجد له مايقابله في الواقع لذلك فإن عملية الإدراك سوف تنتقل لتكون إنفتاحا كما دل على ذاك المرئي واللامرئي، إن ما أصبح يهم مرلوبوتي ليس هو التجربة الإدراكية الحسية التي يختص بها الجسد الخاص والتي تسعى إلى التواجد بالعالم وإكتشاف ماهياته بل أنه أصبح منشغلا بالبحث في تلك الطريقة التي توصلنا إلى قلب الأشياء كما هي في طبيعتها البرية الكائنة كما كان يسميها، لكننا قد نتساءل عن الكيفية التي يكون بها هذا الإنفتاح؟ على ماذا يشتمل أو مما يتكون ويتألف هذا اللقاء الأصل؟، وعن ماهية هذا الأساس الذي سيقودنا إليه؟.

يؤكد مرلوبوتي هذا الإيمان الإدراكي منذ البداية الأسطر الأولى لمؤلفه «نحن نرى الأشياء ذاتها، والعالم هو ذاك الذي نراه: تعبر الصبغ التي من هذا القبيل عن إيمان، هو إيمان مشترك بين الإنسان العادي والفيلسوف مذ يستيقظ، إنها تحيل على قاعدة عميقة من الأراء الخرساء التي تنطوي عليها حياتنا»⁽¹¹⁾، ويضيف قائلا في موقع آخر من نفس الكتاب «كلنا نطال العالم، نفس العالم، وهو كله لكل واحد واحد منا دون تقسيم ودون هدر لأنه هو ما نعتقد أننا ندركه إنه الموضوع المشترك لكل أفكارنا ووحدته(.....) إنها تلك الوحدة المثالية أو وحدة الدلالة التي تجعل مثلث الهنداس هو ذاته في طوكيو وفي باريس، في القرن الخامس قبل الميلاد وفي الحاضر»⁽¹²⁾، نخلص من هذا إلى أن مرلوبوتي وعلى غرار هيدغر يفهم الإنفتاح على الوجود على أنه قائم على مفهوم الإيمان الإدراكي في أن علاقتنا الأصلية بالعالم هي عبارة عن إيمان وليست علما، ليست فعلا عقليا أو معرفة «نعني أنه تصديق يعرف ذاته في ما وراء الحجب»⁽¹³⁾ بعيدا عن مناهج الحجة والمعرفة التي يتتبعها الفكر القائم سلفا في العالم والذي يعمل على إثبات أو نفي الأشياء. والحكم عليها بالسلب أو الإيجاب بالإعتقاد في وجودها، إنه إيمان قائم في مادون الإثبات والنفي وفي مادون الحكم. إنه تجربة قصوى في سكنى العالم بجسدنا وسكنى الحقيقة بكياننا كله

وإيماننا بأن ثمة هناك عالم وأنه لم يقع إثباته بل هو بالأحرى مسلم به. وأن حضورنا الإدراكي للعالم سوف لن يكون نتيجة لحكم بل أن هذا العالم سوف يكون حاضرا لأننا نسكنه.

ويفكر مرلوبونتي هذا الإيمان الإدراكي من خلال تأكيد على أننا نحصل على إظهار إختلاف موجود بين لادوكسا la doxa و l'urdoxa (الظن الأصلي). بين موقف طبيعي أصيل وأخرس وموقف طبيعي متكلم متحدث Parlante وموضوعاتي: ما يختص ب l'urdoxa فإنه يظهر لنا بوضوح كما أشار له سابقا في فينومينولوجيا الإدراك على أن الإدراك الطبيعي ليس علما. إنه لا يضع ولا يطرح الأشياء التي يقع عليها وكأنها أمامه وهو لا يجعل منها بعيدة ليلاحظها بل إنه يعيش معها فهو رأي Opinion أو إيمان إدراكي يجمعنا بالعالم كجزء منا على أن كينونة المدرك هي الكينونة السابقة للإسناد الذي يتمحور نحوه وجودنا الكلي. فالإيمان الإدراكي هو إذا ظن أصلاي Urdoxa حاملة على العالم القبل موضوعي تعيش فيه وتحاول ربطه بإتصال طبيعي بسيط. على أن هذا العالم القبل موضوعي الذي تعيش فيه l'urdoxa هو وجود الكينونة والذي خصه مرلوبونتي في المرئي واللامرئي كوجود خام أو بري سابق للعالم⁽¹⁴⁾، أما فيما يخص لادوكسا فهو يقيمها موقفا غير مفكر وإلتزاما سالباً فيستحضر التمييز الهوسرلي بين الموقف الطبيعي والذي هو قطعاً ليس موقفا ولكنه إعتقاد والموقف الطبيعي أو (الطبيعي) والمطبق من قبل العلم ليوضح بالتحديد أن الموقف الأول هو الوحيد الذي إنذهلت به الفينومينولوجيا فكان وحده المتعلق بموضوعها وكان بمثابة نقطة إرساء لها على أن لادوكسا الموقف الطبيعي هي Urdoxa وهي تتواجه وتتقابل مع أصل الوعي النظري لتجربتنا.

إن فينومينولوجيا الإدراك تسعى إلى الإقترب من الظن الأصلي l'urdoxa وموضعته وجعله كإتصال طبيعي مع العالم القبل موضوعي. ولكنها لاتقوم بهذا عن طريق مقارنة ومواجهة ثابتة ومحددة مع لادوكسا وحصرها في العالم الموضوعي بالتحديد العلمي والمنهجي والذات التجريبية، بل إن الطريق نحو l'urdoxa وعالمها القبل موضوعي يظهر لنا موضوعا للمرور عن طريق لادوكسا وعالمها الموضوعي، لهذا فإن الإنتقال من فينومينولوجيا الإدراك إلى المرئي واللامرئي يتعلق إذا بالتخلي النهائي والقاطع للادوكسا وللموقف الطبيعي للذات التجريبية لفائدة l'urdoxa الذات الأولية⁽¹⁵⁾، ويجب أن نفهم جيدا معنى المرور من لادوكسا إلى l'urdoxa أي الظن الأصلي: إنه يتعلق بعودة لطريق يبتدئ بشيء آخر غير عالم الحياة: إنه الكلام ولكن لا يجب أن نفهم من الكلام أي صنف من الكلام كان بل إنه متعلق بالكلام المتكلم la parole parlante بعيدا عن الكلام المعروف على أنه لغة موضوعية ومؤسسة هذه التي نتحدثها يوميا في حياتنا والتي تعمل على إحتجازنا بفعل تعبيرى إبداعي مخلوق، إن مرلوبونتي وخلافا لهذا سيؤكد حالة الكلام في لحظة الولادة التي يكون فيها أول مرة وهو الأمر الذي سوف يسمح لنا بالتخلص من وهم فكرة أن هناك حضورا أبديا وكليا للعالم والأشياء وحتى الكلمات. ومن أجل تأكيد وتعميق هذه الأفكار وإبطال أوهام الفلسفة التقليدية وتحديداتها لكل من العالم واللغة وغيرها. وكذا لتبرير موقف إنتقاله الفكري داخل فلسفته والذي أشرنا إليه سابقا فإن مرلوبونتي قد عمل على توضيح: بأن العالم ليس فقط بحاجة إلى إظهارنا الفينومينولوجي له الذي نقوم به ولا حتى أيضا بإستخدامنا للفينومينولوجيا كوسيلة للكشف عن التجارب المعيشة لعالم الحياة، بل أن الأجدر بنا هو إرجاء هذه الأسئلة البسيطة والسعي للتعرف عن هذا العالم الذي نختص به وكذا البحث في الأساس الذي تكون من خلاله التجربة المعيشة معيشة. طبعاً إن مرلوبونتي هنا لا يقابل الفينومينولوجيا بالحياة اليومية بل بفلسفة مثالية عقلية تقوم هي الأخرى على خلاف من الفلسفة القائمة على تأمل كلي، إنه لا يبقى على الأقل في تأكيد التجربة الطبيعية التي إعتبرتها الفينومينولوجيا على أنها إظهار، إحياء، وكشف، فالفينومينولوجيا سوف لن تكون عودة Retour بسيطة إلى التجربة المعيشة بل هي في الوقت ذاته بناء لها Création بالكيفية التي وجب أن يعود فيها الكلام المتكلم la parole parlante يكون كلاما ذو إتجاه سهل البلوغ، ولكنه كلام خاص، نادر، ويستحضر مرلوبونتي هنا: الكلام عند الطفل، عند المحب، عند الفنان، عند الكاتب، وأخيرا عند الفيلسوف⁽¹⁶⁾ كمثال عن الكلام واللقاء الأولي.

ينتقل مرلوبونتي من فينومينولوجيا الإدراك والتي كان حدد فيها الكلام على أنه كلام مؤسس «إنني أتوجه نحو الكلمة كما تتوجه يدي نحو المكان الذي نقرصه في جسدي فالكلمة هي في مكان معين من عالمي اللغوي.... ليس لي إلا وسيلة واحدة لتصورها هي التلفظ بها كالنفس الذي ليس له سوى وسيلة واحدة لتصور العمل الفني الذي يعمل فيه وهي أن يحققه»⁽¹⁷⁾، إلى ما يعني أن الكلام أو التعبير هو فعل يقوم به الجسد بعيدا عن ما كنا قد تعلمناه من أن الفكر سابق للغة والكلام فسيؤكد على أن عملية التفكير هي في الآن ذاته عملية تحدثنا. وأن حديثنا هو تفكيرنا من ناحية أخرى لتكون اللغة بهذا محددة في أنها تعبير جسدي يتم بواسطة الألفاظ ويكون هذا العالم الذي

يكون فيه الكلام متكلماً *la parole parlée*. علمنا الذي نحيا فيه ونعيشه والذي لا نعرفه عن طريق العلم بمعنى أن نعرفه من خلال معاشتنا له وليس عن طريق ما يقدمه لنا العلم من مناهج وأدوات وتقنية فهذا العالم المتكلم *le monde parlé* هو عالم للحياة أيضا والتي تمنح الطاقة والكثافة للحياة كلها، فإذا كان العالم يمثل عالم لادوكسا بالنسبة إلينا والذي يحتجزنا داخل التمثلات الموضوعية بحيث نكون موضوعات جامدة فما يجب القيام به إذا في هذا الشأن هو إعادة تأسيس هذا الموقف الحصري بمقابلته بـ *l'urdoxa* ذلك الإيمان الإدراكي الأصل الذي يعيش عفويا وبلا صراع داخل الأشياء، لهذا يمكننا القول أن ماوضحه مرلوبونتي في المرئي واللامرئي هي تلك العودة النهائية والمطلقة إلى عالم الحياة وإلى الظن الأصلي *l'urdoxa* فتكون الأشياء بسيطة حقا وتصبح مغرية لتمثل *l'urdoxa* بالحياة في العالم القبل موضوعي ولادوكسا بالحياة الموضوعية الجامدة، لكن *l'urdoxa* تبدو لنا أيضا وكأنها حياة، إنها حركة من دون توقف، وإذا كانت لا تتوقف أبدا فإنها تبقى لهذا الجانب من الحياة مستوعبة داخل حركة مزدوجة تتراوح بين قطبين: قبل موضوعي وآخر موضوعي. فقط أن هذه الحركة هي دائما حركة عفوية، طبيعية، مفعمة بالطاقة الموضوعية ضرورية لكل توقف. لكل تثبيت لرؤية الأشياء وليس فقط المعيشات، وطبقا لهذا التحديد فإن الإيمان الإدراكي يصبح إذا رؤية لا تستثني على أي جزء من حقلها الإدراكي تلك التساؤلات المثبتة لحركة متواصلة بين القبل تأسيسي والتأسيس الذي يبقى مع ذلك غير واع وغير موضح لأن العالم الموجود يوجد في صيغة تساؤلية.

إن الفلسفة إذا تصبح تتحدد بأنها ذلك الإيمان الإدراكي المتساؤل عن ذاته، إن الفلسفة لا تكون إذا أكثر من حركة تساؤلية للإيمان الإدراكي فتكون إذا إستعادة للكينونة الخام أو البرية⁽¹⁸⁾ لذلك الوجود الحق موطن الحقائق ومنبعها. تلك الحقائق الأصلية السابقة عن كل قسمة ذاتية أو موضوعية والتي سوف لن يكون وصولنا إليها من مهام الجسد الخاص والذي تحدد دوره كما كنا وضحنه سابقا في أنه يتمكن من رؤية الأشياء والموضوعات المرئية في العالم وأنه يصبح هو الآخر في منزلة مرئي من طرف هذه الأشياء. إن دوره سوف لن يكون هذه المرة فعلا *acte* وإنما إنفتاحا. إنفتاح على الوجود *l'ouverture de l'être* حيث سوف يصبح مرلوبونتي لا ينظر إلى الوعي على أنه ذلك النشاط التأسيسي الذي يعطى بإزاء الموضوع ولكنه أكثر أصالة من ذلك على أنه إنفتاح يحدث في باطن الوجود يحققه لنا مفهوم اللحم *chair*

يعرف مرلوبونتي اللحم على أنه ذلك العنصر الشامل الذي يحدد إختلاط الأشياء في الوجود وأيضا إمكانية تمييز وتفریق هذه الأشياء. وقد أوجد مرلوبونتي ثلاث بنيات تشكل هذا اللحم كل واحدة من هذه البنى تناظر قوة مضاعفة تتجه نحو تناقضه وهي ترده نحو الوحدة: أولا أن اللحم لا يمكن تفكيكه كجوهري، إنه لا يستطيع إذا أن يكون أداة للتوحد ولا وحدة للمتناقضات (مرئي/لامرئي، حاس/محسوس،.....) بحيث لا يمكن إعتباره تركيبا جدليا لقطبين متناقضين. إن اللحم عنصر بنية مفهومية أكثر بساطة وأكثر أحادية، ثانيا أن اللحم هو مكان للتبدل والتغير *variation*: إن الأشياء هي تبدلات للوجود داخل اللحم وبما أن اللحم عنصر فهو يختص بكل الأشياء لأنها مختلفة. ووجب أن نفهم أيضا فكرة مرلوبونتي حول التجربة كقدرة لانهائية للتبدل: على أن التجربة هي تبدل للماهية ليكون اللحم بهذا المعنى متعددا بما أنه يحدد التبدل ولكنه يكون في الوقت ذاته بما أنه عنصر نقطة إستدلال ثابتة: المحور والمدار الذي يسند وحدة المعنى في الوجود لجميع الأشياء، إنه يصبح تصديق كثيف للأشياء في الوجود، أخيرا فإن تقاطع *chiasme* حاس -محسوس الذي يكون اللحم يوضح أن حدث الجسد هو فعل سلمي ومرتببط بأخر. إن الجسد قائم بطريقة أخرى على أن هويته تنجم عن شيء ما هو خارج عنه: بهذا المعنى فإن الغيرية أصيلة بمقارنتها بالهوية.

ما نخلص إليه مما سبق هو أن اللحم هو ما يجعل من الرائي والمرئي بنية واحدة بمعنى أن يكون الرائي من المرئي ويكون المرئي إنفلاق عن الرائي. ليعمل كل منهما على التثبيت بالأخر والإحاطة به وكذا التصالب معه بحيث يصبح كل منهما في مرئية واحدة في فعل وإنفعال متزاوجين يتخطى أحدهما الآخر بمعنى أن يستعير أو يتخطى ويتقاطع أحدهما الآخر (مرئي -لامرئي) لينعكس فيما بينهما فيكون الرائي منخرطا فيما يراه وتكون هذه الرؤية التي يمارسها يخضع لها هو الآخر من قبل الأشياء المرئية بحيث لا يكون هناك إنطباق بينهما ويكونا معا منبع الحقيقة ووحدة الأنا والعالم المسبقة. إن مايفيدنا به مفهوم اللحم هو عملية الإنفتاح على الوجود والعمل من ثم بتفتحه لنا على إسترجاع مرئيته⁽¹⁹⁾.

ويميز مرلوبونتي في حديثه عن اللحم بين كل من لحم الجسد *chair du corp* ولحم العالم *chair du monde* فيما يخص لحم الجسد فهو كما بيناه سابقا أن لحم جسدي يعني أن لي جسدا فاعلا هو جسد راء ومرئي أي أنه كتلة في ذاتها، أما لحم العالم فالمقصود به أن المرئي

له إمتداد من جسدي الذي يصبح يشكل جزءا من كيانه، أي الوجود المدرك المرئي من قبل أجسادنا المدركة والمدركة الراهية للموضوعات والمرئية من قبلها والمتقاطعة معها داخل وحدانية l'unicité العالم المرئي والذي هو لامرئي بالتخطي، ولحم العالم هذا سوف يساعدنا أكثر على فهم الجسد الخاص: إن الجسد كحاس ومحسوس لا يقوم إلا بالتركيز على لغز المرئية بعامة وهو لا يشرحه كما أنه مفارقة لموجود هو في مرة موجود واحد وفي الثانية مضاعف بمعنى جسد موضوعي وجسد ظاهراتي في نفس الوقت إنها ليست مفارقة للإنسان ولكنها مفارقة للوجود ذاته بما أنه تكرر لتفتح déhiscence الراهي إلى المرئي والمرئي إلى رائي، إن تجربة اللحم إذا سوف تكون على أرض الإيمان الإدراكي والذي يكون هو أيضا للرؤية بقيامها كفعل هناك أين يكون المدرك والمدرك في وحدة وأين تكون الأشياء قائمة على التجربة كلاحق وتمديدات لنا، وخارج تجربة الرؤية مكان التبادل الغريب للروابط داخل بطلان قصدية للفعل لأنه وبواسطة العالم أولا يكون المرئي مرئيا، لنجد أن فعل كل من الرؤية واللمس يصبحا تجربة تجريد لنا من إمتلاكنا لما نراه ما يعني أن الأشياء هي التي تصبح تمتلكنا ولسنا نحن من نمتلكها وأن اللغة تمتلكنا ولسنا نحن الذين نمتلك اللغة وأن الوجود هو الذي يتحدث فينا ولسنا نحن الذين نتحدث عن الوجود⁽²⁰⁾، فليس ثمة إدراك للأشياء ولا حتى للآخرين من جانبي إذا كانت رؤيتي رؤية محضة لأني أصبح أحس بذاتي مرئيا وأن الآخر مجهولا بالنسبة إلي إن الرؤية سوف تصبح تتأسس بإنفتاحان: تفتح للراهي على المرئي للمرئي على الراهي، إن هذا التحول في مفهوم الرؤية وتجربتها على الكشف لإشراك وتصالب شامل للكائنات لعلاقتنا نحن بالأشياء وبالآخر autrui والآخرين وجب أن تفهم إنطلاقا من هذا المنظور .

إن لقاء الأشياء سوف لن يفتح حيزا لوجود إحداها في مقابل الأخرى لأنهما تنبئان في بدئهما جانبا بنفس الكيفية التي أجد فيها الأنا والآخر، فالآخر إذا كان هو أيضا رؤية محضة فإنه لن يكون في إمكاني رؤيته إلا بإقتحامه لعالمي، إننا لا نستحضر أبدا جانبا بعكس الأشياء ولكن بالأحرى يتم ذلك عن طريق تحطيم effraction يخترق داخل مناقض المرئي يجب أن يكون هناك تلازما بين الراهي والمرئي، بين الأنا والآخر حيث يحتاج هذا الأخير الأنا والعكس فلا ينحبس في مجرد رؤية محضة تجعلنا غير متمكنين من رؤيته، إن المرئي يعمل على إقتحام الراهي حتى لا يكون مجهولا بالنسبة إليه نعي إندماج كل من المرئي والراهي الأنا والآخر على أن الأنا وحده لا يكون الذات كاملة، إن علاقة الأنا- الآخر لا يجب أن تكون علاقة تناظر لأنها تسلب مطلقا الواحد منهما من طرف الآخر إنه يجب أن يكون ثمة مرور للآخر فينا ومرورا لنا فيه يكون هناك تقاطع وتعايش لرؤاه ورؤانا المستندة إلى نفس العالم ويكون مرآة لنا كما نحن مرآة له من حيث أننا أنفسنا لا نمتلك لشخص ولدواتنا صورتين جنباً إلى جنب بل أن صورة واحدة نكون متضمنين فيها كلانا.⁽²¹⁾

يكون اللحم إذا إسما للوجود وهو أيضا عنصر، نسيج مشترك لجميع الموجودات ومبدأ لوحدها وعدم إنقسامها وهو لهذا يكون أيضا إسما للكائن في مجموعه، هذا الإلتباس في فكرة اللحم أظهر لنا عن ميزة جهوية لفكر مرلوبونتي بالمقارنة بالبحث في التعبيرية المباشرة لما أساسي وقاعدي عند هيدغر، في الواقع إن مرلوبونتي قد أبدع أنطولوجيا غير مباشرة تعتمد في منهجها على أن الوجود هو في الكائنات، وحدد الشاقولية verticalité الوجود وهي الصفة التي يوجد عليها الوجود بالعودة إلى أفق المحسوس ويتناقضها مع الجانب الطبيعي ومع البناء الموضوعي للوجود فضلا عن ذلك فإن فكرة اللحم غير متوازنة في فلسفة هيدغر ذلك أن تجربة الحسي كان لا يمكن النظر إليها على أنها نخط أصيل للكائن ولا تعد تخصيصا وتعيينا كحضور للعالم بواسطة الجسد ولا للجسد بواسطة العالم يعني أنه ما كان لينظر إليها على أنها لحم، كما أن تلازم تجربة الكائن بالعالم والذي يكون هو الآخر كشفا لهذا الإرتباط الذي يخص الوجود الأكثر أصالة والذي يحدث ظاهرة التعيين أي أنطولوجيا الدازين لا تفكر أكثر في الإنفتاح على أساس الوعي، إنها ليست أكثر لتقدير السيكلولوجيا في الأنطولوجيا بخلاف أن أنطولوجيا اللحم ترد إلى مفارقة الفينومينولوجيا وهي كفلسفة لليقين والحضور تقودنا إلى إعادة التعرف لما هو غير قابل للطعن فيه ذلك الذي يكون بنية لأفق كل قصدية، إن مرلوبونتي سوف لن يكتفي كما فعل هوسرل بتفكير الأفق الباطني والأفق الخارجي للأشياء كطريقة لوجود الوعي بالقوة بما أنه بقي وفيما لمذهب الالاهية الكلاسيكي. لكنه على العكس سوف يعيد بطريقة قطعية التعرف بأفكار هوسرل ذاته على أن: بنية أفق العالم ذات معنى في العالم المحيط لذات جسدية إنها لا تقيم نهايتها منقسمة إلى لانهائي إيجابي ولكنها كالحق وتقوم على نهاية عملية تفتحها على وجود لا ينفذ ولا نهائي بما أنه سالب يوكون أيضا في مرة قريبا وفي أخرى بعيدا، أما فيما يخص تحديد مفهوم أفق العالم فإننا نجد يختلف عند كل من هيدغر، مروبونتي وهوسرل: يقصد هيدغر بمصطلح أفق تلك القدرة للنظر ومجاوزة المعطى الراهن والذي يكون شاغلا وضاما في الإنفتاح على المرئي، أما مرلوبونتي فإنه يفكر الأفق إنطلاقا من اللحم والتأكيد على أن شاقولية الوجود تنبثق بإرتباطها بمعانقتها

المحفوظة بين الجسد والعالم وهو هنا قريب من هيدغر والذي يعرف الأفق كحد يشد الحد الزمني بمعنى أنه شبيه ببنية لكائن مهم خارج ذاته (22).

الهوامش:

- 1-bernard sichèer .Merleau-Ponty ou le corps de la philosophie. Edition Grasset afasquelle .1982.p72
- 2- إن ما يهدف تبيان كتاب المرئي واللامرئي ليس هو التطرق إلى التناقض بين المرئي واللامرئي كما يتضحان على أنهما من عالمين مختلفين، لكن الأخرى هو وجوب فهم التلازم والتشابك بينهما. bernard sichèer-Op.cit,p72
- 3 -Françoise dastur ,chair et langage, essai sur merleau-ponty, encre marine, 2001, p111-112.
- 4- موريس مرلوبونتي، المرئي واللامرئي، ترجمة عبد العزيز العياضي، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، يوليو، 2008، ص 169-171.
- 5- Françoise dastur ,chair et langage, op.cit, p112
- 6- يبين مرلوبونتي أن الفلسفة التفكيرية ليس في إمكانها أن توصل الفلسفة إلى الحقيقة القائمة بذاتها والتي تضع حدا لكل التساؤلات وتوصلنا في الأخير إلى الحقيقة النهائية والمطلقة
- 7 - Françoise dastur ,chair et langage, op.cit, p113.
- 8- موريس مرلوبونتي، المرئي واللامرئي، المصدر السابق، ص 251.
- 9 - Françoise dastur ,chair et langage, op.cit, p114.
- 10 - موريس مرلوبونتي، المرئي واللامرئي، المصدر السابق، ص 251-252.
- المصدر نفسه، ص 1153
- 12-المصدر نفسه، ص 89.
- 13 -المصدر نفسه، ص 84.
- 14 -Eran dorfmán, réapprendre à voir le monde (merleau-ponty face au miroir lacanien), springer, 2007, p262.
- 15-ibid, p263.
- 16-ibid , p265.
- 17-موريس مرلوبونتي، فينومينولوجيا الإدراك، المصدر السابق، ص 154.
- ibid, p266.-¹⁸
- 19-Marcello vitai rosati ,corps et virtuel (itinéraires à partir de merleau-ponty), l'harmattan, 2009, p42-43
- 20-موريس مرلوبونتي، المرئي واللامرئي، المصدر السابق، ص 300.
- المصدر نفسه، ص 21151
- 22-Françoise dastur ,chair et langage, op.cit, p93-94

